

سرود الابتعاث بين أدب الرحلة وأدب المهجر

Scholarships between the journey literature and the literature of the Diaspora

إعداد

ريم فالح العنزي

باحثة بمرحلة الدكتوراة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: reemfaleh33@gmail.com**المستخلص:**

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على واحد من المخرجات الأدبية ذاتية النشأة وهي ما يسمى بسرود الابتعاث، والتي تعني ما كتبه المبتعثون أثناء ابتعاثهم وهي نصوص ذاتية كتبها المبتعث أثناء فترة دراسته في الخارج، تحكي تجربته، وأرائه، وانطباعاته، وأبرز الأحداث والصعوبات التي مر بها خلال فترة زمنية مؤقتة، وتتجلى فيها المرجعية الفكرية والثقافية للمجتمع السعودي.

هذا وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، جاء من أهمها: أن سرود الابتعاث نصوص ذاتية، متفردة التجربة، تشكل هوية ذاتية مستقلة؛ يكتب المبتعث بنفسه عما حدث معه خلال فترة ابتعاثه، تظهر فيها مشاعره، وانطباعاته، وتأملاته، ومعتقداته، فهي بمنزلة بصمة لشخصية المبتعث، تميز تجربته عن تجربة مبتعث آخر، ويتفق أدب الرحلة وأدب المهجر مع سرود أدب الابتعاث في الذاتية والواقعية، وهيمنة المكان، وأما الاختلاف بينهم، فيكمن في سبب الكتابة، ومناسبة الحدث.

كلمات مفتاحية: سرود الابتعاث، أدب الرحلة، أدب المهجر.

Narratives of scholarship between travel literature and diaspora literature

Abstract :

This research aims to shed light on one of the self-emerging literary outputs, which is the so-called scholarship narratives, which means what the scholarship students wrote during their scholarships, which are self-texts written by the scholarship student during the period of his study abroad, telling his experience, opinions, impressions, and the most prominent events and difficulties he went through during a temporary period of time, and reflects the intellectual and cultural reference of Saudi society.

The study has reached many results, the most important of which are: that the narratives of scholarship are subjective texts, unique in experience, forming an independent self-identity; the scholarship writes himself about what happened with him during the period of his scholarship, in which his feelings, impressions, reflections, and beliefs appear, it is like an imprint of the personality of the scholarship student, distinguishing his experience from the experience of another scholarship student, and the literature of the trip and the literature of the diaspora agrees with the narratives of scholarship literature in subjectivity, realism, and the dominance of the place, and the difference between them lies in the reason for writing, and the appropriateness of the event.

Keyword: Scholarship narratives, travel literature, diaspora literature.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليماً كثيراً، ثم أما بعد،

فقد توالى إصدارات المبتعثين التي تناولت تجاربهم وخبراتهم المكتسبة في مرحلة الابتعاث، بعد انطلاق برنامج الابتعاث الخارجي في المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٦م، وزيادة أعداد المبتعثين، ترتب على ذلك ظهور سرود الابتعاث وهي "نصوص ذاتية كتبها المبتعث أثناء فترة دراسته في الخارج، تحكي تجربته، وآرائه، وانطباعاته، وأبرز الأحداث والصعوبات التي مر بها خلال فترة زمنية مؤقتة"، وتتجلى فيها المرجعية الفكرية والثقافية للمجتمع السعودي، وتعد رافداً مهماً في رصد التحولات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي طرأت عليه، وكما تمكنت من تغيير الصورة النمطية للمواطن والوطن في الخارج؛ حيث أظهرت تعامل المبتعثين مع ثقافات تلك الشعوب التي انفتحوا عليها، وعلاقتهم بالآخر، وتعايشهم مع الأنظمة في فترة زمنية معينة قد تطول أو تقصر؛ حسب نوع الدراسة وظروف البعثة، والظروف الشخصية التي يتعرض لها المبتعث^١.

وتتسم هذه السورود ببعض السمات الفنية التي تميزها، وهي:

أولاً: تعد سرود الابتعاث العمل الأول لمؤلفها، وهي السمة الأبرز لهذه السورود، فالمبتعث يتجه إلى الكتابة لعدة دوافع سنأتي على ذكرها لاحقاً؛ مما يؤدي إلى فكرة التجريب الإبداعي الأول مع ما يلحق التجارب الأولى من حاجة إلى المراجعة، أو التطوير الفني، أو الاستفادة من رد فعل القراء تجاهها لاحقاً.

ثانياً: الذاتية أو حضور البعد الذاتي، وتعني قدرة المتكلم على طرح نفسه بوصفها "ذاتاً"^٢؛ بحيث يكون المؤلف المتحكم والمسيطر على التصورات والمفاهيم؛ إذ تقوم على التطابق الصريح بين المؤلف والراوي والشخصية؛ لذا يمكننا القول: إن سرود الابتعاث نصوص ذاتية، متفردة التجربة، تشكل هوية ذاتية مستقلة؛ يكتب المبتعث بنفسه عما حدث معه خلال فترة ابتعاثه، تظهر فيها مشاعره، وانطباعاته، وتأملاته، ومعتقداته، فهي بمنزلة بصمة لشخصية المبتعث، تميز تجربته عن تجربة مبتعث آخر.

وفي ذلك تكتب الهنوف الدغيشم "بين ترتيب الحقائق وإجراءات السفر والرحيل عن هذه المدينة كان في داخلي شعور غامض لا أستطيع وصفه يجعلني أتساءل لماذا أبدو قلقة من عودتي إلى الرياض كما كنت قلقة عندما غادرتها... لكنني أيضاً أشعر بالامتنان لهذه المدينة الصغيرة التي احتوتني استشعر دفنها الآن أكثر من أي وقت..."^٣؛ يظهر لنا من خلال هذا المثال مشاعر وأحاسيس الكاتبة، لحظة الاستعداد للعودة إلى الوطن، بعد انتهاء البعثة، مما يدل على ذاتية التجربة، كونها تصطبغ بمشاعر الكاتب، وانطباعاته، وتأملاته.

^١ ماجد الزهراني. استقبال السيرة الذاتية في الابتعاث (مصطفى بيومي نموذجاً)، ص ٢٧٢.

^٢ هاني حجي. وزكريا العباد. د. القصص و غلاف شقة الحرية. قاصون وروائيون، الابتعاث تجربة لم تكتمل في السرد السعودي. جريدة اليوم، ٢٠١٥م. <https://2u.pw/atBFiztl> استرجع في ٢٠٢٥/٢/١٤م

^٣ إميل بنفينيست. "الذاتية في اللغة"، ت. حميد سمير وعلي طي، جدة: النادي الأدبي الثقافي، نوافذ، ٩ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ، ص ٦٤.

^٤ نرجس باديس. الذاتية في النظام اللغوي، ت. وليد أحمد العناتي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٣٧، ع ١٤٩٦، ٢٠٢٠م، ٢٨١-٢٩٤، ص ٢٩٠.

^٥ محمد القاضي وآخرون. معجم السرديات، ص ٣٥٤.

^٦ الهنوف الدغيشم. رقة العزلة.

وهناك كتبٌ للمبتعثين لا تدخل ضمن سرود الابتعاث، فهي نصوص أو منشورات علمية توفر المعلومات فقط التي يود إيصالها للقارئ، ولا تبرز فيها مشاعر الكاتب، ولا تظهر فيها جوانب من حياته، وتكون بمنزلة دليل للابتعاث، وهي نصوص مستبعدة من هذه الدراسة، ومن ذلك: كتاب "تجربتي في الابتعاث بين النجاح والابتكار" لـ علي اليوسف، حيث يصنف من الكتب التعليمية الاجتماعية؛ إذ يتناول فيه مواضيع تساعد المبتعث، مثل: كيفية تعلم اللغة الإنجليزية بتسع طرق فعالة، كيفية التعايش في المجتمع الغربي، وتجاوز مراحل الصدمة الثقافية، وغيرها من المواضيع التي تهم المبتعث الجديد. وأيضاً، "دليل الأمهات السعوديات القادمات إلى شيكاغو" لـ كوثر الحجوج، تحاول فيه الكاتبة الإجابة عن عدة أسئلة، تهم المبتعثات وخصوصاً الأمهات في مدينه شيكاغو، وهذه الأسئلة تُغطي جوانب عديدة من جوانب الحياة العادية، والأكاديمية، والحياتية، والصحية، والأمنية، والتعليمية، غير أن مثل هذه الكتب يمكن أن تعين في قراءة سرود الابتعاث؛ إذ تشترك في حديثها عن تجربة الابتعاث نفسها، وإن كان من زوايا مختلفة.

ثالثاً: الواقعية، تكون "بمقدار بوح الكاتب عن حياته وأحداثها وتجاربها وكل ما عاناه فيها، غير مستتر ولا مخفي شيئاً من حقائقه"، فالواقعية لا تعني بحال من الأحوال تصويراً حرفياً للواقع بحيث يخلو من الاختيار الإيديولوجي والبعد الفكري، وإنما تستنتج منه أو يستدل عليها من خلاله، وهو انعكاس يغطي الزمان والمكان في الفن، وسرود الابتعاث هي أحداث واقعية من تجربة ابتعاث الكاتب، تتضمن أمكنة وأزمنة حقيقية مع أشخاص حقيقيين؛ لذا فالبعد الواقعي فيها حاضرٌ، وبمستوياته المختلفة.

ويؤكد الكتاب هذا البعد الواقعي في عتبة (التنبية) التي تأتي في بدايات هذه السرود، وفي ذلك يكتب عبد الرحمن العليان "الأحداث والأسماء الواردة في هذه الرواية حقيقية من خلال تصورات الكاتب"، وكذلك يكتب يحيى الشريف "عبارة عن مذكرة شخصية لأحداث واقعية تمثل جزءاً بسيطاً من الحياة الشخصية للمؤلف في أثناء بعثته للدراسة في أمريكا"، وهذا بمنزلة ميثاق القراءة الذي وضعه (philippe Lejeune) فيليب لوجون، ليكون في مقدمة المدونة ويعني إقرار المؤلف إقراراً صريحاً بأنه هو الشخصية الرئيسة، وعليه يلتزم الكاتب أمام القارئ بأنه هو صاحب هذا السيرة، وأنه يتحدث عن حياته وأيامه، فلا بد من تطابق اسم المؤلف والشارد والشخصية؛ مما يترتب عليه زرع الثقة بين الكاتب والقارئ^٦ بمصادقية ما يقال ويحكي.

إلا أن هذا الميثاق يخرج كثير من الكتب من سرود أدب الابتعاث حين تقدم سرداً تخيلياً بحتاً، ومن ذلك: رواية "شقة الحرية" لـ غازي القصيبي التي تحكي قصة طالب خلال ابتعاثه إلى مصر للدراسة، إلا أن الكاتب يذكر في مقدمة الكتاب ما يثبت أن العمل رواية وليس سيرة أو كتاباً ضمن سرود الابتعاث: "فجميع أبطال هذه الرواية وجميع أحداثها من نسج الخيال. والوقائع المنسوبة إلى أشخاص حقيقيين هي بدورها، من صنع الخيال. وأي محاولة للبحث عن الواقع في الخيال ستكون مضیعة لوقت القارئ الكريم" فالكاتب هنا يقدم ميثاقاً للقارئ بأن أحداث القصة غير واقعية؛ مما

^١ شوقي ضيف. البحث الأدبي، دار المعارف، ط٦، ص ٢١٤.

^٢ زكريا شريقي. مفهوم الواقعية في الأدب والفن، اتحاد الكتاب العرب، ع ٩٣، ١٩٧٩م، ص ٩.

^٣ عبد الرحمن العليان. سعودي في ستين كولج، مقدمة.

^٤ يحيى الشريف. بين الطب والقانون، ص ٩.

^٥ عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري. إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية: بحوث ومقالات، ١١٢.

^٦ عائشة بنت يحيى الحكمي. تعالق الرواية مع السيرة الذاتية، الإبداع السردى السعودي أنودجا، ٢٠.

يخرجها من سرود الابتعاث، ولا نريد هنا الخوض في الاختلاف حول روائية العمل أو سيريته؛ فما يهمنا ميثاق القراءة فحسب.

وتجدر الإشارة هنا، أننا لا نفترض الواقعية التامة للأحداث لاسيما في التجارب الذاتية العربية، حيث يقول يحيى عبد الدايم: "فالصدق المحض في الترجمة الذاتية رغم أنها أصدق الفنون الأدبية تصويراً للإنسان- هو مجرد محاولة، وهو صدق نسبي، وليس شيئاً متحققاً؛ لأن هناك عوائق تعترض سبيل المترجم لنفسه، وتحول بيه وبين نقل الحقيقة الخالصة، ومن هذه العوائق أن الحياة نسيج صنعت خيوطه من حقيقة وخيال وحياتنا وأفكارنا تصنع بعض أجزائها من وحي الخيال. والحقيقة المجردة، شأنها في هذا السبيل شأن الخيال البحث، كلاهما يختفي من الترجمة الذاتية"، فواقعية الأحداث هنا مرتبهة بميثاق الذي يذكره الكاتب غالباً في مقدمة الكتاب، ومدى التزامه بالصدق في حديثه عن الواقع، أو تجاوزه أحياناً.

رابعاً: أن يكتبها مبتعث وفي فترة ابتعاثه تحديداً، والمبتعث هو طالب العلم الذي يذهب مكلفاً من قبل دولته؛ لنيل درجة علمية مثل الماجستير، أو الدكتوراه؛ وذلك خلال رحلة ابتعاثه للدراسة في الخارج غالباً، وفي ذلك يكتب يحيى الشريف "رويت بين دفتي هذه الصفحات حكايتي كمبتعث لتعلم اللغة الإنجليزية وإكمال الدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية"^١، وكذلك يكتب فارس الهمزاني "مواقف وحكايات رصدتها خلال فترة الابتعاث"^٢، وهذه السمة تستبعد كل المدونات التي كتبتها أشخاص غير مبتعثين للدراسة وإن سافروا إلى خارج المملكة، ورصدوا تجاربهم في رحلات السفر، ومن ذلك: "حكايا سعودي في أوروبا" لـ عبد الله بن صالح الجمعة، الذي يكتب عن رحلاته ومغامراته في إيطاليا واليونان والمملكة المتحدة، فهذا الكتاب يعد من أدب الرحلة، ولا يمكن تصنيفه من سرود الابتعاث.

خامساً: التنوع الأجناسي؛ إذ إن سرود الابتعاث نصوص متفاعلة مع عدة أجناس أدبية، فهي نصوص متعددة ومتجاورة، تمازجت فيما بينها لتغطي احتياج الكاتب، وفق ما تقتضيه لحظة التدوين، ومرجعياته الثقافية، وخبرته الكتابية، وتتضمن أشكالاً مختلفة وأنواعاً تعبيرية متعددة، مابين (يوميات، مذكرات، قصص، مقالة، خاطرة)، تتيح للكاتب التوغل في أعماق ذاته. إذ يدل هذا التنوع على ثرائها الأدبي واستعصائها على التنميط الأجناسي الأحادي الجانب، واستيعابها للأشكال السردية المختلفة^٣.

إلا أن سرود الابتعاث، تواجه إشكالية التجنيس بوصفه جنساً أدبياً يقع بين أدب الرحلة وأدب المهجر؛ لذا سنتناول هنا نبذة مختصرة عن كل جنس من أدب الرحلة وأدب المهجر؛ لرسم الحدود بينهم، وإيجاد مدى الاتفاق والاختلاف بينهم.

^١ يحيى إبراهيم عبد الدايم. الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ٧.

^٢ الحسن الشاهدي. أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج ١، ط ٢ المغرب: منشورات عكاظ ٢٠٠٢م، ص ١٩

^٣ يحيى الشريف. بين الطب والقانون، ص ٧.

^٤ فارس الهمزاني. سعوزي، ص ١٦.

^٥ مجموعة من المؤلفين. إشراف محمد القاضي. معجم السرديات، ١٣٢.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين أدب الرحلة وأدب المهجر وسرود الابتعاث

المحور الأول: أوجه الاتفاق:

- أولاً: أدب الرحلة.

الرحلة هي الارتحال، ويقال رحل الرجل أي سار، وهي انتقال وسفر إلى بلد آخر، ومخالطة للناس والأقوام، وقد عرف العرب الرحلة قبل الإسلام لغرض التجارة، لقوله تعالى: {إِلَّا يَلْفُ قَرِيْشٍ* إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}؛ وبعد ظهور الإسلام في الجزيرة العربية حرص الناس على التنقل والترحال، والسعي في الأرض من أجل طلب الرزق، والعلم؛ مما أدى إلى ظهور الرحلة العلمية، وهي انتقال طالب العلم من بلده إلى بلدان أخرى، للتعلم من خلال التقائه بالمشائخ على اختلاف طرقهم، ومناهجهم التعليمية، إذ إن التلقين المباشر هو أشد استحكاماً للمعلومات^١.

وتعد الرحلة العلمية مظهراً من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية، وثروة معرفية كبيرة، ومخزناً للقصص، والظواهر، والأفكار، ولها دور كبير في تنمية العلاقات الثقافية بين الدول، وتنشيط الحركة الثقافية والفكرية وخاصة مع الكتب والمصنفات التي كان العلماء وتلامذتهم يتبادلونها، ومن أشهر الرحلات العلمية، رحلات طلاب العلم في الأندلس نحو مدن وعواصم البلدان الإسلامية: فاس، وتونس، والقاهرة، ودمشق، وبغداد، ومكة، في القرنين الثالث والرابع الهجري؛ لتحصيل المعارف العلمية بالاحتكاك الثقافي الذي بفضلله ازدهرت الحياة العلمية في الأندلس؛ فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة ومتنامية، وشهدت تقدم العلوم الرياضية، والفلكية، والزراعية، والعمرانية، والفلسفة؛ وبعد ذلك توالى الرحلات العلمية على مدار العصور المختلفة.

وفيها، يمر الرحالة بعيداً عن موطنه بشتى أصناف التجارب والمغامرات، ويبدل جهداً جباراً في اجتياز وعورة الطريق، والجبال، وعبور البحار، ثم يعود إلى وطنه ويدون تجربته، ومشاهداته، وانطباعاته عن أحوال البلدان التي زارها، وما شاهده من مشاهد الطبيعة من: جبال، وسهول، وبحار، وصحاري، وحيوانات، ومظاهر عمران، وتجليات الحضارات، وأيضاً ما تجلى له من أوصاف الناس وعوائدهم وثقافتهم، بدرجة من الدقة، والصدق، وجمال الأسلوب، والقدرة عن التعبير، وبأسلوب مشوق؛ بهدف التواصل مع القارئ، والتأثير فيه^٢.

نتيجة لهذا، أنتجت مجموعة من الآثار الأدبية التي تمزج بين "رحلة حقيقية تنفتح على غير المألوف من الأشياء والأمكنة والبشر، وبين موهبة أدبية متطلعة إلى المغامرة والاكتشاف والتلذذ بالغريب والنادر والتعبير عنه حتى تغدو التجربة الفردية

^١ ابن منظور. لسان العرب، ج ١١، بروت: دار الصادر، ١٩٩٠م، ص ٢٧٦.

^٢ سورة قريش، ٦٠٢.

^٣ عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة، ص ٥٩٨.

^٤ <https://2u.pw/vOPHZHMY>

محمد عنبري. الرحلات العلمية: أندلس القرن الثالث والرابع الهجريين – أنموذجاً. استرجع في ٢-١٠-٢٠٢٤م.

^٥ فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط ٣، ٢٠١٠م، ٢٦.

^٦ محمد مسعود جبران. فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، دار المدار الثقافية، م ٢، ط ١، ٢٠٠٩م، ٧.

^٧ إنجيل بطرس. "الرحلات في الأدب الإنجليزي"، مجلة الهلال، ٧٤، ١٩٧٥م، ٥٢.

^٨ ناصر عبد الرزاق المواقفي. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مص، ١٩٩٥م، ٤١.

عبر الكتابة تجربة جماعية يشترك فيها مع المؤلف قارئ حقيقي أو مفترض^١. وتسمى بأدب الرحلة، وهو "جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية الأخرى لكونه خطاباً مخصوصاً، وذاتياً في بنائه ومكوناته وعناصره، حيث يجمع بين الإفادة والإمتاع فيسرد لنا العجائب والغرائب. ويتميز أدب الرحلة عن غيره من الأجناس الأدبية النثرية بعدة سمات، ومن أبرزها:

- الذاتية: فالرحالة هو المؤلف نفسه الذي يقوم بفعل الرحلة وفعل الكتابة؛ إذ يكشف في كتابته جوانب من شخصيته، وفكره، ونفسيته، ومعتقداته، وأحاسيسه، والمؤثرات التي شكلتها، ويعبر بها عن رؤيته.
- الواقعية: إذ إن الرحالة رجل واقعي عاش في الواقع، وسافر إلى أماكن حقيقية، وخالط أناساً حقيقيين، ومع ذلك هو "نص أدبي لا يخلو طبعاً من التخيل، مكتوب حول رحلة واقعية، ويقتضي ذلك أن تطفو أدبية النص وما تستلزمه من حضور تعبيري يقطر سرداً ووصفاً وبهاء لغوياً على سطح مادة رحلية حدثت بالفعل في الواقع المكاني للكاتب"^٢، وهذا ما يقصي الرحلات الخيالية البحتة من هذا الأدب، ويقيم مدى واقعيته.
- حضور المكان: يتسم أدب الرحلة بحضور المكان المهيمن على السرد بوصفها انتقالاً من مكان إلى مكان آخر لغاية ما، ووصف تضاريسه ومناخه، وأحوال الناس في هذا المكان، وعاداتهم وثقافتهم وأساليب عيشهم.
- الوصف: يعتمد أدب الرحلة على أسلوب الوصف، بالحديث عن المكان أو الأشخاص أو الأشياء، وهو من أهم مكونات الرحلة وأبرز سماتها، وعليه لابد أن يتصف الرحالة بدقة الملاحظة؛ كي يقدم للقارئ وصفاً لمن يلتقي بهم من الأشخاص، والأماكن التي يزورها.^٣
- توظيف الشعر يعمد الرحالة إلى تضمين سرودهم ببعض الأشعار، ويرون في ذلك إثراء للسرد، لإضافة الحيوية، والإثارة، والتشويق لدى القراء، وإبعاد الملل عنهم.^٤

وعلى هذا، تحمل مؤلفات أدب الرحلة بجانب قيمتها الأدبية قيمة علمية؛ لارتباطها بعلم الجغرافيا، بحيث يقدم فيها الرحالة معلومات عن الظواهر الطبيعية وتضاريس الأرض، وكذلك علم التاريخ فيكتب عن عادات القبائل، وتقاليدها، والممالك والأمصار، وأسماء العلماء في تلك الفترة ويكتب عن أبرز الأماكن مثل: أسماء المساجد، وأصناف الطعام، والأنساب، والقبائل، والأشعار. وأيضاً، تحمل قيمة ثقافية بوصفه مصدرًا لوصف الثقافات الإنسانية، ورصد جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.^٥

ومن هذه المؤلفات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب (الأنواء) و(رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات) للأصمعي، و(الأمصار) و(عجائب

^١ معجم السرديات، ص ٣٤٠.

^٢ سعيد بن سعيد العلوي. أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديد، ط١، ١٩٩٥م، ١٤.

^٣ يوسف وغلبيس. في ظلال النصوص تأملات نقدية في كتابات جزائرية، الجزائر: جسر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م، ٢٧٨.

^٤ روبيته ناز. مؤيد فاضل. أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره، الإيضاح، يونيو ٢٠١٧م، ١٧٧.

^٥ المرجع نفسه، ١٧٧.

^٦ حسين محمد فهمي. أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والثقافة والأداب، يونيو ١٩٨٩م الكويت، ١٥.

البلدان) للجاحظ، (معجم البلدان) و(معجم الأدباء) لياقوت الحموي، (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشمس الدين دمشقي، (الرحلة الحجازية) لعبد الغني النابلسي.

-ثانيًا: أدب المهجر.

هو أدب أنتجته جماعات من أبناء البلاد العربية الذين هاجروا من بلدانهم لعوامل كثيرة، منها:

-العامل السياسي: فقد كانت كل من سوريا ولبنان خاضعتين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني، الذي تضطهد فيه الحريات، فأخذ سكانها يهاجرون إلى مصر وشمال أفريقيا، ولكن هذه البلاد كان النفوذ العثماني فيها سائداً، والاستعمار يتغلغل في ربوعها. ومن ثم أخذ المهاجرون يتجهون إلى العالم الجديد (أمريكا)، ينشدون الحرية، وفراراً من الظلم، والجور، والطغيان السياسي!

- العامل الاقتصادي: وذلك بسبب الفقر، ومشقة الحياة، وإهمال الزراعة، والصناعة وشتى مرافق الحياة، وقسوة الجوع والحرمان التي كان يعاني منها كثير من السكان في تلك البلدان؛ لذلك أقبل الناس على الهجرة يأملون بالحياة الكريمة، ويسعون في طلب الرزق والاستقرار.

من هنا، أنشأ المهاجرون في تلك الديار أدباً، يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعراً يصورون فيه عواطفهم، ومختلف أحاسيهم وتجاربهم، ويكتبون فيه عن غربتهم، وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم، وما تعرضوا له من عناء وشقاء، وتجارب مريرة ومثيرة، وأثر ذلك تأثيراً كبيراً في مضامينهم، وأساليبهم الأدبية، وظهرت الأنشطة الأدبية في المهجر في صورة حركات أدبية، ومن أهم هذه الحركات:

-**الرابطة القلمية:** أنشأها أدباء المهجر في شمال أمريكا في أبريل عام ١٩٢٠م، لتوحيد جهودهم وتوجيه إنتاجهم، وكان طابعها التأمل، والتجديد، والتحرر، ومن أبرز أدباء المهجر الشمالي: إيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، ورشيد أيوب، وندرة حداد، ونسيب عريضة، ونعمة الله الحاج، وميخائيل نعيمة.

-**العصبة الأندلسية:** قامت في سان باولو جنوب أمريكا سنة ١٩٣٣ م، كان طابعها الدعوة إلى تهذيب الواقع، وتعميق الإحساس القومي، والحنين إلى أرض الوطن، والتفاخر بالمآثر العربية والأمجاد القديمة، من أبرز أدباء المهجر الجنوبي: إلياس فرحات، وإلياس قنصل، وجورج صيدح، وشفيق المعلوف وشكر الله الجر، وفوزي المعلوف، والقروي، ونعمة قازان، وميشال المعلوف.

ورغم ظهور عدة مدارس أدبية لكن الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، والعصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي، نالتا سمعة وشهرة لم تحظ بها مدرسة أخرى؛

^١ محمد عبد المنعم خفاجي. قصة الأدب المهجري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٧٣م، ١٣.

^٢ المرجع نفسه، ١٤.

^٣ محمد عبد المنعم خفاجي. حركات التجديد في الشعر الحديث، مصر: دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، ١٧٤.

^٤ صابر عبد الدايم. أدب المهجر- دراسة تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في "الأدب المهجري"، القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٩٣م، ١٨.

^٥ المرجع السابق، ١٩.

لأن نقاد العرب اعتنوا بهما عناية خاصة، فكل أدب خرج من أqlامهم يطلق عليه أدب المهجر، إلا أن فئة المهجر الشمالي رغم قلة عددهم أبعد أثراً من فئة الجنوب.^١

كما أن أدب المهجر عامةً أدب تجديدي؛ مزيج ما بين التأثير بحركة التجديد في الأدب العربي المعاصر، التي تمثلت في الطابع الرومانسي عند المنفلوطي، وطه حسين، والزيات، والكلاسيكية الجديدة عند البارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وبين التأثير بالبيئة الأمريكية الحرة، ونقل الكثير من التأثيرات المختلفة بأدبها وحضارتها. وهو أيضاً أدب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها، متفاعل معها غاية التفاعل وجدانياً، وفكرياً بإيجابية، فهو مزيج من الواقعية، والرومانسية، والرمزية، والسريالية، وغيرها، بيد أن للواقعية نصيباً أوفر فيه.^٢

ويذكر عيسى الناعوري السمات البارزة في أدب المهجر: فهي نصوص تعبر عن تجربة ذاتية؛ مر فيها الكاتب بغربته، تصف عمق الشعور بالحنين والاعتراب. وتقوم على:

- التحرر التام من الوزن والقافية؛ فقد جدد المهجريون في قالب القصيدة، واتبعوا نظام المقطوعات، كما اتجه بعضهم إلى شعر التفعيلة، وإلى السهولة والوضوح في اللغة والأساليب، والتسامح في استعمال قواعد اللغة، والإكثار من استخدام الشكل القصصي في القصيدة.^٣

- النزعة الإنسانية: وهي النظرة إلى المجتمع نظرة حب ورحمة، والرغبة في أن يعم الخير على الجميع، وأن تنتشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على الحب، وتهذيب نوازع النفس الشريرة.^٤

- النزعة التأملية: اتجه أدباء المهجر إلى ذواتهم يتأملون فيها؛ فراراً من ظروف الحياة التي تحاصرهم. كما توجهوا إلى الطبيعة، وتأملوا في مظاهرها وشخصوها بوصفها كائنات حية؛ ليعبروا عما يجول في نفوسهم من أحاسيس.^٥

- الرمز: حيث يتخذ من الأشياء الحسية رموزاً لمعنويات خفية؛ لما له من دلالات لا تنضب؛ فالرمز يعطي مساحة للتعبير، والتحرر من القيود.

وبعد ما قدمنا من صورة موجزة عن كل من أدب الرحلة وأدب المهجر، يمكننا تبين مدى اتفاقهما واختلافهما مع سرود أدب الابتعاث، وهنا سنجد السمات المشتركة بين سرود الابتعاث وهذين الجنسين التي تتمثل في:

أ- الذاتية: فهي فنون أدبية ذاتية، تسرد تجربة كاتبها، وعمق أثرها بنفسه، وتتيح له التعبير عن مشاعره وعواطفه تجاه مشهد، أو حدث ما؛ مما يعكس رؤيته، وأفكاره، ومعتقداته من خلال السرد.

^١ عمر جان باله. الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي: أدب المهجر. مؤسسة الصحافة والنشر، مج ٦٨، ٥٤، ٢٠٢٢م، ص ٦٤.

^٢ محمد عبد المنعم خفاجي. قصة الأدب المهجري، ص ١٤١.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٤٣.

^٤ عيسى الناعوري. أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٧م، ص ٦٩.

^٥ المرجع نفسه، ص ٧١.

^٦ المرجع نفسه، ص ٩٣.

^٧ المرجع نفسه، ص ٨٨.

^٨ عيسى الناعوري. أدب المهجر، ص ٦٥.

ب- الواقعية: الرحلة والابتعاث والهجرة، أحداث واقعية حدثت لأشخاص واقعيين -لا ينفي ذلك وجود الجانب التخيلي الفني لكن الواقعية تغطي فيها، وواقعية التجربة هي محل اهتمام القراء، حيث يسرد الكاتب تجاربه بضمير المتكلم -غالباً- بوصفه ميثاقاً للذاتية والواقعية.

ج- هيمنة المكان: في كل من أدب الابتعاث، وأدب الرحلة، وأدب الهجرة، انتقال من مكان إلى مكان آخر؛ مما يفرض هيمنة المكان في السرد، فهو العنصر الأهم والمحرك للمشاعر، إذ إنه بطل القص، يستدعي الحنين إلى الوطن، والرغبة في التكيف مع الآخر والتعايش معه؛ وذلك لأن المكان انتماء، وهوية، ومرجعية ثقافية.

المحور الثاني: أوجه الاختلاف:

أما الاختلاف بينهم، فيكمن في سبب الكتابة، ومناسبة الحدث؛ فأدب الرحلة سببه السفر والتنقل والاستكشاف؛ مما يؤدي إلى الاتصال المباشر بالآخر، ومعايشة ثقافات مختلفة، والاطلاع على حياتهم عن قرب، ورصدها. أما أدب المهجر يكتب فيه المهاجر عن الوطن والحنين إليه؛ لامتداد غربته لمدة غير معلومة، وانعكاسها في ذاته، ومدى تأثيرها عليه. خلافاً لسرود الابتعاث التي تحكي تجربة مبتعث للدراسة والتعلم في معاهد اللغة والجامعات؛ لاستكمال مسيرته التعليمية؛ فالمبتعث اغترابه لسبب محدد، ولمدة معلومة، ما أن تنتهي يعود إلى وطنه، وأهله، وأحبابه.

ويفرق محمد زين العابدين بين الأدب الذي أنتجه أدباء ارتحلوا بعيداً عن الوطن للدراسة أو العمل ثم عادوا إليه، وبين الأدب الذي أنتجه أدباء هاجروا هجرة كاملة واتخذوا من البلدان التي هاجروا إليها وطناً لهم، فالأدب الذي أنتجه الأدباء الرحالة أو المغتربون يمكن تسميته "أدب الاغتراب"؛ بينما الأدب الذي يهدف الدراسة والتحصيل العلمي هو (أدب الابتعاث).

وتتفق الدراسة مع هذا التفريق، وتستفيد منه في التفريق بين سرود الابتعاث وأدب المهجر، إلا أن هناك من التحفظ على تسميته بـ "أدب الاغتراب"، فالاغتراب هو الانفصال عن الذات والواقع، وما له من انعكاسات سلبية. وفي الطب النفسي يشير الاغتراب إلى الفجوة بين الفرد ونفسه، والتباعد بينه وبين الآخرين، إذ يشعر فيه الفرد بعدم الانتماء، وأنه غريب على ذاته، منفصل عن الواقع بسبب فقدان المعنى، المتمثل بصورة أساسية في الهدف والقيمة؛ مما يعطل الحركة الديناميكية ما بين الذات والواقع، ويعرض الفرد للضعف والانهيار؛ وهو مشكلة نفسية اجتماعية قد تسبب انهيار العلاقات الاجتماعية. للشخص.

وقد يحصل للشخص دون الحاجة إلى حدوث الغربة المكانية؛ مما يجعله يختلف اختلافاً جوهرياً عن الغربة التي تعني الابتعاد المكاني عن الوطن، وذلك بالإحساس بالغربة بسبب المسافة التي تفصل الإنسان عن مجتمعه، ومعارفه، وعالمه. فالأدب الذي أشار إليه بجملة "أنتجه الأدباء الرحالة أو المغتربون" يمكن تصنيفه بناءً

^١ محمد زين العابدين. نظرة على أدب المهجر بين الماضي والحاضر. عالم الكتاب. الإصدار الرابع. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥١، أكتوبر ٢٠٢١م، ١٥٥.

^٢ كوكب الزمان بليردوح. "واقع الاغتراب السيكلوسوسيولوجي لدى اللاجئين السوريين بالجزائر"، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٧٤، ٢٠١٦م، ص ٥١٨.

^٣ المرجع نفسه، ص ٥١٨.

على خصائصه وسماته، إلى هذين التصنيفين أدب الرحلة وأدب الابتعاث، مع ما يحملان من فروق أشرنا إليها سابقاً، ومع ما يحمله مفهوم الاغتراب من إحالة إلى أدب المهجر أكثر.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ثم أما بعد فقد انتهيت - بفضل الله تعالى - من هذه الدراسة المتعمقة حول (سرود الابتعاث بين أدب الرحلة وأدب المهجر)، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، جاء من أهمها:

- ١- تعد سرود الابتعاث العمل الأول لمؤلفها، وهي السمة الأبرز لهذه السرود.
- ٢- يمكن القول إن سرود الابتعاث نصوص ذاتية، متفردة التجربة، تشكل هوية ذاتية مستقلة؛ يكتب المبتعث بنفسه عما حدث معه خلال فترة ابتعاثه، تظهر فيها مشاعره، وانطباعاته، وتأملاته، ومعتقداته، فهي بمنزلة بصمة لشخصية المبتعث، تميز تجربته عن تجربة مبتعث آخر.
- ٣- تتسم - أيضاً - بالواقعية، حيث إنها تحكي واقع المبتعث وتفاصيل حياته.
- ٤- تواجه سرود الابتعاث إشكالية التجنيس بوصفه جنساً أدبياً يقع بين أدب الرحلة وأدب المهجر.
- ٥- هناك فرق كبير بين الأدب الذي أنتجه أدباء ارتحلوا بعيداً عن الوطن للدراسة أو العمل ثم عادوا إليه، وبين الأدب الذي أنتجه أدباء هاجروا هجرة كاملة واتخذوا من البلدان التي هاجروا إليها وطناً لهم، فالأدب الذي أنتجه الأدباء الرحالة أو المغتربون يمكن تسميته "أدب الاغتراب"، بينما الأدب الذي بهدف الدراسة والتحصيل العلمي هو (أدب الابتعاث).
- ٦- يتفق أدب الرحلة وأدب المهجر مع سرود أدب الابتعاث في الذاتية والواقعية، وهيمنة المكان، وأما الاختلاف بينهم، فيكمن في سبب الكتابة، ومناسبة الحدث.

وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش العظيم قبول هذا العمل، وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع

- ابن منظور. لسان العرب، ج ١١، بروت: دار الصادر، ١٩٩٠م.
- إميل بنفينست. "الذاتية في اللغة"، ت. حميد سمير وعلي طي، جدة: النادي الأدبي الثقافي، نوافذ، ٩ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ.
- إنجيل بطرس. "الرحلات في الأدب الإنجليزي"، مجلة الهلال، ع ٧، ١٩٧٥م.
- الحسن الشاهدي. أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج ١، ط ٢ المغرب: منشورات عكاظ ٢٠٠٢م.
- حسين محمد فهميم. أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، يونيو ١٩٨٩م الكويت.
- روبينه ناز. مؤيد فاضل. أدب الرحلة: أهميته وأسلوبه وخصائصه وتطوره، الإيضاح، يونيو ٢٠١٧ م.
- زكريا شريقي. مفهوم الواقية في الأدب والفن، اتحاد الكتاب العرب، ع ٩٣، ١٩٧٩م.
- سعيد بن سعيد العلوي. أوربا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديد، ط ١، ١٩٩٥م.
- شوقي ضيف. البحث الأدبي، دار المعارف، ط ٦.
- صابر عبد الدايم. أدب المهجر - دراسة تأصيلية لأبعاد التجربة التأملية في "الأدب المهجري"، القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٩٩٣م.
- عائشة بنت يحيى الحكمي. تعالق الرواية مع السيرة الذاتية، الإبداع السردي السعودي أنموذجاً.
- عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة.
- عبد الرحمن العليان. سعودي في ستيب كولج، مقدمة.
- عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري. إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية: بحوث ومقالات.
- عمر جان باله. الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي: أدب المهجر. مؤسسة الصحافة والنشر، مج ٦٨، ع ٥٤، ٢٠٢٢م، ص ٦٤.
- عيسى الناعوري. أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٧م.
- فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط ٣، ٢٠١٠م.
- كوكب الزمان بليردوج. "واقع الاغتراب السيکوسوسيولوجي لدى اللاجئين السوريين بالجزائر"، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٢٧، ٢٠١٦م.
- ماجد الزهراني. استقبال السيرة الذاتية في الابتعاث (مصطفى بيومي نموذجاً).
- مجموعة من المؤلفين. إشراف محمد القاضي. معجم السرديات.
- محمد زين العابدين. نظرة على أدب المهجر بين الماضي والحاضر. عالم الكتاب. الإصدار الرابع. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥١ أكتوبر ٢٠٢١م.

- محمد عبد المنعم خفاجي. حركات التجديد في الشعر الحديث، مصر: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
- محمد عبد المنعم خفاجي. قصة الأدب المهجري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٧٣م.
- محمد عنبري. الرحلات العلمية: أندلس القرن الثالث والرابع الهجريين – أنموذجاً. استرجع في ٢-١٠-٢٠٢٤م.
- محمد مسعود جبران. فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، دار المدار الثقافية، م٢، ط١، ٢٠٠٩م.
- ناصر عبد الرزاق الموافي. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مص، ١٩٩٥م.
- نرجس باديس. الذاتية في النظام اللغوي، ت. وليد أحمد العناتي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج٣٧، ع١٤٩٦، ٢٠٢٠م.
- هاني حجي. وزكريا العباد. د. القصيبي وغلاف شقة الحرية. قاصون وروائيون، الابتعاث تجربة لم تكتمل في السرد السعودي. جريدة اليوم، ٢٠١٥م. <https://2u.pw/atBFiztl> استرجع في ١٤/٢/٢٠٢٥م
- الهنوف الدغيشم. رقة العزلة.
- يحيى إبراهيم عبد الدايم. الترجمة الذاتية في الأدب العربي.
- يحيى الشريف. بين الطب والقانون.
- يوسف وجليس. في ظلال النصوص تأملات نقدية في كتابات جزائرية، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م.